

خزانة كتب شخصية في حديثه الموصل - تعليق على نص من كتاب الفهرست لابن النديم -

م. د. محمد نزار الدباغ*

تاريخ قبول النشر

٢٠١٣/٨/٢٥

تاريخ استلام البحث

٢٠١٣/٦/٥

ملخص البحث

نحاول في هذا البحث أن نسلط الضوء على خزانة كتب شخصية تعود إلى احد العلماء المغمورين من حديثه الموصل والتعرف على القيمة الثقافية لبعض المخطوطات والأوراق القديمة الموجودة فيها والتي كتبها عدد من العلماء المشهورين في علم اللغة والنحو العربي والشعر والحديث، ممن عاش جلهم بين القرنين (٢-٤هـ/٨-١٠م) من خلال نص مهم ورد في كتاب (الفهرست) لابن النديم (ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م) يقع بحدود صفحة واحدة والذي ستحاول هذه الدراسة تحليله والتعليق عليه بعد التعريف بأهم مفردات النص .

A Personal bookcase in Haditha al- Mosul a Comment on
the text of the book (al-Fihrist) by Ibn Al-Nadīm

Lect. Dr. Mohamad Nazar Aldabbagh

Abstract

This research tries to shed light on the personal bookcase belonging to one of the of the unknown scientists of Haditha al- Mosul, and recognizing the cultural value of some of the manuscripts and old papers which found in this

* مدرس ، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل

خزانة كتب شخصية في حديثه الموصل - تعليق على نص من كتاب الفهرست لابن النديم -

bookcase and wrote by a number of renowned scientists in linguistics and Arabic grammar, poetry and Hadith, who lived mostly between centuries (2-4 AH / 8-10 AD) through an important text in one page contained in the book (al-Fihrist) by Ibn al-Nadīm (d. 380 AH / 990 AD), which this study will try to analyze and comment on after the definition of the most important words of the text.

يهدف البحث إلى التعرف على محتويات خزانة كتب تعود إلى احد الأشخاص ممن سكن بلدة حديثه الموصل والمدعو محمد بن الحسين والمعروف بابن أبي بكرة، وهو احد الأشخاص المغمورين، ولم تذكر كتب التراجم والطبقات والأنساب شيئاً عنه، وخبر هذه الخزانة الخاصة بالكتب علمناه من خلال ما ذكره محمد بن إسحاق بن النديم، (ت : ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) في كتابه (الفهرست) في نص مهم يقع بحدود صفحة واحدة والذي ستقوم دراستنا عليه.

إن المنهج الذي اتبعه الباحث في هذا البحث يقوم على إيراد النص بشكله الكامل في بداية البحث ثم محاولة دراسة النص وتحليله والتعليق عليه من اجل تحقيق فهم له وبيان القيمة الثقافية والعلمية لمحتويات هذه الخزانة والتي تعكس لنا روح العصر الذي ازدهر فيه الكتاب والحرص عليه والاهتمام به مما نجده في أطراف مدينة الموصل وبالتحديد بلدة حديثه الموصل.

قسم البحث إلى مبحثين، تناول المبحث الأول تحليل مضامين المفردات الواردة في النص والتعريف بها، من أسماء الأعلام الجماعات والطوائف المدن والأقاليم والنسبة إليها ومكان خزن الكتب وتفسير مفهوم الخزانة و (القمطر) وما حواه (القمطر) من كتب ولفائف وذكر بعض المصطلحات التي وردت في النص والمتعلقة في الأغلب بمصطلحات علم المخطوط العربي .

دراسات موصلية، العدد (٤٢)، ذو الحجة ١٤٣٤ هـ / تشرين الاول ٢٠١٣م

م. د. محمد نزار الدباغ

أما المبحث الثاني فقد درس التعليق على النص بعد التعريف بمفرداته، ودراسة محتوياته بصورة دقيقة ومتأنية لكونه يحتوي على العديد من الإشارات التي تحتاج إلى تفسير ومناقشة من أجل الوصول للنتائج المرجوة .

النص

سبب يدل على أن من وضع في النحو كلاماً أبو الأسود الدؤالي

((قال محمد بن إسحاق كان بمدينة الحديثة رجل يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن أبي بكرة جماعاً للكتب له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة فلقبت هذا الرجل دفعات فأنس بي وكان نفورا ضنينا بما عنده خانفا من بني حمدان فأخرج لي قمطرا كبيرا فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصر وورق صيني وورق تهامي وجلود آدم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من أشعارهم وشيء من النحو والحكايات والأخبار والأسماء والأنساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم وذكر أن رجلا من أهل الكوفة ذهب عنى اسمه كان مستهترا بجمع الخطوط القديمة وأنه لما حضرته الوفاة خصه بذلك لصداقة كانت بينهما وأفضال من محمد بن الحسين عليه ومجانسة المذهب فإنه كان شيعيا فرأيتها وقلبتها فرأيت عجبا إلا أن الزمان قد أخلقها وعمل فيها عملا أدرسها وأحرفها وكان على كل جزء أو ورقة أو مدرج توقيع بخطوط العلماء واحدا أثر واحد فذكر فيه خط من هو وتحت كل توقيع توقيع آخر خمسة وستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض ورأيت في جملتها مصحفا بخط خالد بن أبي الهياج صاحب علي رضي الله عنه ثم وصل هذا المصحف إلى أبي عبد الله بن حاني رحمه الله ورأيت فيها بخطوط الإمامين الحسن والحسين ورأيت عنده أمانات وعهودا بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام وبخط غيره من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل أبي عمرو بن العلاء وأبي عمر والشيباني والأصمعي وابن الأعرابي

دراسات موصلية، العدد (٤٢)، ذو الحجة ١٤٣٤ هـ / تشرين الأول ٢٠١٣م

خزانة كتب شخصية في حديثه الموصل - تعليق على نص من كتاب الفهرست لابن النديم -
وسيبويه والفرء والكسائي ومن خطوط أصحاب الحديث مثل سفيان بن عيينة
وسفيان الثوري والأوزاعي وغيرهم ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود
ما هذه حكايته وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام
في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا
الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي وتحت هذا خط النضر بن شميل ثم لما مات
هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه فما سمعنا له خبراً ولا رأيت منه غير
المصحف هذا على كثرة بحثي عنه^(١).

المبحث الأول : التعريف بالمفردات الواردة في النص

ورد بين ثنايا النص المحتوي على وصف خزانة ابن أبي بكرة في حديثه
الموصل العديد من المفردات التي من الواجب التعريف بها من أجل فهم النص ثم
التعليق عليه كما سيرد ذلك في المبحث الثاني من هذا البحث ويمكن تقسيم هذه
المفردات إلى :

أولاً : أسماء الأعلام

ورد عدد من أسماء الأعلام منها ما هو معروف كالرسول محمد (صلى الله
عليه وسلم) والإمام علي(رضي الله عنه) ولا حاجة للخوض فيها، والبعض منها
من الضرورة التعريف به، وتنوعت اهتمامات هؤلاء الأعلام من اهتمام بأمر
السياسة والحكم كالإمام علي (رضي الله عنه)، والبعض منهم كان أديباً ولغوياً
ومحدثاً وناسخاً للكتب واحدهم كان خطاطاً و كاتباً، عاشوا فترة زمنية يمكن حصرها
بين القرن (١-٤هـ/٧-١١م) وسنورد ترتيب الأعلام حسب أسبقية ورودهم في
النص .

١. محمد بن إسحاق : وهو ابن النديم (ت : ٣٨٠هـ/٩٩٠م) صاحب كتاب
(الفهرست) كان شيعياً، وعمل وراقاً وناسخاً للكتب، له رحلات إلى الموصل ألتقى
فيها بعدد من العلماء ممن يملكون خزائن للكتب على وجه الخصوص من أجل

م. د. محمد نزار الدباغ

الإطلاع عليها، وورد اسمه عشر مرات في النص بين تصريح أو تضمين، وهو الذي قدم لنا هذا النص^(٢).

٢. محمد بن الحسين ويعرف بابن أبي بكرة: وهو رجل شيعي من حديثة الموصل مغمور لم نعلم خبره إلا ما ذكره لنا ابن النديم من امتلاكه لكتب وأوراق قديمة والتي كانت موجودة في قمطر في منزله الذي زاره ابن النديم في حديثة الموصل، وورد ذكره في النص سبع مرات^(٣).

٣. رجل من أهل الكوفة: مجهول الاسم ذكر عنه ابن النديم انه كان صديقاً لابن أبي بكرة وكان شيعياً يهوي جمع الخطوط القديمة وقد أهدى إليه (لابن أبي بكرة) قمطراً يحتوي كتب وأوراق قديمة قبيل وفاته التي نجهلها وورد اسمه مرتين في النص بين تضمين وتصريح^(٤).

٤. خالد بن أبي الهياج: من أهل الكوفة، صاحب الإمام علي (رضي الله عنه) وكان خطاطاً وكاتباً للمصاحف ومن جملتها مصحفاً بخطه رآها ابن النديم في القمطر الموجود عند ابن أبي بكرة في بيته في حديثة الموصل وصرح مرتين بإسمه مرة في داخل النص وثانية في أثناء الحديث عن كُتاب المصاحف في المقالة الأولى من الفن الأول في كتاب الفهرست لابن النديم^(٥).

٥. أبي عبدالله بن حاني: لا نعلم من أمره شيئاً سوى انه وصل إليه المصحف الذي كتبه خالد بن أبي الهياج الذي رآه ابن النديم، ورد اسمه في النص مرة واحدة، وربما كانت وفاته قريبة العهد من زمن ابن النديم بدلالة قوله ((ثم وصل هذا المصحف إلى أبي عبدالله بن حاني رحمه الله))^(٦).

٦. أبي عمرو بن العلاء: واسمه زبان المازني عالم بالقرآن واللغة والأدب والشعر، (ت: ١٥٤هـ/ ٧٧١م) وكان من أشرف العرب ووجهائها ولد بمكة وعاش في البصرة، وأصبح احد القراء السبعة المشهورين، له ثلاثة كتب تحمل اسم ((كتاب قراءة أبي عمرو أو أبي عمرو بن العلاء)) رواها عنه احمد الطواني وعصمة بن

خزانة كتب شخصية في حديثه الموصل - تعليق على نص من كتاب الفهرست لابن النديم -

عصمة واليزيدي وهذه الكتب لم تصلنا، جاء ذكره في نص ابن النديم مرة واحدة عند الحديث عن خطوط العلماء في اللغة والنحو^(٧).

٧. **أبي عمرو الشيباني:** واسمه إسحاق بن مرار، ولد بالكوفة وهو عالم باللغة ومعدوداً ضمن النحاة مع إهتمامه بالشعر والحديث النبوي وجامعاً لأشعار العرب وقبائلهم، عاش أكثر من مائة سنة وعمل في نسخ المصاحف بيده إذ كان ذو خط جميل، ترك العديد من الكتب أشهرها (كتاب الحيم) وهو مطبوع، وتوفي سنة (٢٠٦هـ/٨٢١م)، ورد ذكره في نص ابن النديم مرة واحدة، وترجم له في موضع آخر من كتابه عند ذكره لنحاة الكوفة^(٨).

٨. **الأصمعي:** وهو عبد الملك بن قريب، عالم بصري، لغوي ونحوي وشاعر، توفي سنة (٢١٦هـ/٨٣١م) وله العديد من الكتب (كتاب الإبل)، (كتاب النخلة)، (كتاب الهمز)، (كتاب اللغات)، وعمل قطعة كبيرة من أشعار العرب، جاء ذكره في النص مرة واحدة، فضلاً عن ترجمة منفصلة قدمها ابن النديم في موضع آخر من كتابه^(٩).

٩. **ابن الأعرابي:** هو محمد بن زياد، شاعر ولغوي ونحوي كوفي، كان كثير الحفظ ولم يترك كتاباً إنما أملى على الناس ما حفظه من أشعار، توفي سنة (٢٣١هـ/٨٤٥م)، جاء ذكره في نص ابن النديم مرة واحدة وله ترجمة منفصلة وموجزة في كتاب الفهرست^(١٠).

١٠. **سيبويه:** هو عمرو بن عثمان من أبرع علماء البصرة في النحو، وأشهر النحاة على الإطلاق، زيادة على إهتمامه باللغة والحديث والفقهاء ولعل هذه الشعرة والبراعة قد تنأت من تأليفه لكتابه المسمى (الكتاب) في النحو، وأصبح كتابه العمدة في الدراسات النحوية في البصرة والكوفة وبغداد ومصر والأندلس، لأنه لم يكن للبصريين كتاب يجمع نحوهم قبله، ولم يظهر كتاب له قيمة بعده، وتوفي سيبويه سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م)، وجاء ذكره في نص ابن النديم مرة واحدة مع ترجمة موجزة له في كتاب الفهرست^(١١).

م. د. محمد نزار الدباغ

١١. الفراء : هو يحيى بن زياد كوفي، عالم بالنحو واللغة توفي سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م) وله كتاب (المقصود الممدود)، ورد ذكره في النص مرة واحدة، وله ترجمة موسعة عند ابن النديم^(١٢).
١٢. الكسائي: علي بن حمزة نحوي كوفي، توفي سنة (١٩٧هـ/٨١٣م) له كتب عديدة منها (كتاب الحروف)، ذكر في النص مرة واحدة، وله ترجمة موسعة عند ابن النديم^(١٣).
١٣. سفيان بن عيينة : محدث و فقيه توفي سنة (١٩٨هـ/٨١٤م)، لا كتاب له، وإنما كان الناس يسمعون منه وله تفسير معروف، ذكر في النص مرة واحدة، وترجمته في الفهرست لم تتعدى السطر الواحد^(١٤).
١٤. الثوري : واسمه سفيان بن سعيد، فقيه ومحدث بصري، وتوفي سنة (١٦١هـ/٧٧٨م)، له كتاب الجامع الكبير وهو في الحديث، ورد ذكره في النص مرة واحدة وترجمته متوسطة في الفهرست^(١٥).
١٥. الازواعي: وهو عبد الرحمن بن عمرو، توفي سنة (١٥٩هـ/٧٧٦م) وله (كتاب السنن في الفقه)، ذكر مرة واحدة في النص، وترجمته سطرين في الفهرست^(١٦).
١٦. أبو الأسود الدؤلي : وهو ظالم بن عمرو، بصري وواضع علم النحو وان أبا الأسود اخذ ذلك عن الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وإنه كان من شيعته المقربين وتوفي سنة (٦٩هـ/٦٨٨م) وذكر في النص مرتين وترجمته موسعة الفهرست^(١٧).
١٧. يحيى بن يعمر: عالم من أهل البصرة وهو نحوي و فقيه ومقرئ وكان ممن ينقطنون المصاحف وهو ممن اخذ النحو بالاعتماد على أبو الأسود الدؤلي توفي سنة (١٢٩هـ/٧٤٧م) ذكر في النص مرة واحدة وليس له ترجمة منفصلة في الفهرست^(١٨).
١٨. علان النحوي : مصري، عالم بالمعاني مع اهتمام بالنحو توفي سنة

خزانة كتب شخصية في حديثه الموصل - تعليق على نص من كتاب الفهرست لابن النديم -

(٣٣٧هـ/٩٤٨م)، ذكره ابن النديم في النص مرة واحدة ولم يفرد له ترجمة^(١٩).

١٩. **النضر بن شميل** : بصري الأصل، لغوي ونحوي، توفي سنة (٢٠٣هـ/٨١٨م)، وله عدة كتب أشهرها (كتاب الصفات)، ذكر في النص مرة واحدة وافرد له ابن النديم ترجمة متوسطة^(٢٠).

ثانياً : الأسر الحاكمة والبيوتات الشريفة :

١. **بنو حمدان** : وهم الحمدانيون (٣١٧ - ٣٩٩ هـ / ٩٢٩ - ١٠٠٨ م)، أسرة حكمت بلاد الجزيرة والقسم الشمالي من بلاد الشام وكان مقر حكمهم الموصل ثم حلب، وجاء ذكرهم في النص مرة واحدة^(٢١).

٢. **آل الحسن وآل الحسين** : وهم من البيوتات الشريفة من نسل أولاد الإمام علي (رضي الله عنه) من ولديه الحسن والحسين (رضي الله عنهما) ومن أتى بعدهم، جاء ذكرهم في النص مرة واحدة^(٢٢).

ثالثاً: المدن والأقاليم والنسبة إليها : ورد في النص ذكر عدد من الأقاليم والمدن أو النسبة إليها فمنها ما هو معروف لا حاجة للتعريف به كالصين مصر والنسبة إليهما الصيني والمصري، وخراسان والكوفة، ومنها ما يحتاج التعريف به مثل ((الحديثة)) وهي اسم لثلاثة مواضع حسب ما ذكر ياقوت الحموي الأول حديثه الموصل الواقعة في جنوب مدينة الموصل على الضفة الشرقية من نهر دجلة وعلى فرسخ واحد (مسافة ٦ كم) من مصب نهر الزاب الكبير، ولعل مما زاد من أهميتها وقوعها على طريقين رئيسيين، كانا يربطان مناطق أعالي الجزيرة والموصل، وبسواد العراق عبر نهر دجلة . وكان الطريق البري المحاذي للضفة الشرقية، أهم تلك الطرق، منذ قبل الإسلام واستمر هذا الطريق على حيويته في حقب صدر الإسلام ثم ضعف هذا الطريق بعد القرن (٣هـ/٩م)، وهناك احتمال كبير في أن ابن النديم قد وفد الى الموصل عبر هذا الطريق كما أن هذا الطريق كان قد سلكه الخلفاء العباسيون الأوائل ومنهم الخليفة المنصور والمهدي والرشيدي وغيرهم، ثم بعد ذلك طريق غرب دجلة

م. د. محمد نزار الدباغ

يحل محله تدريجياً وهكذا كانت حديثة الموصل في جميع تلك الحقب التاريخية محطة رئيسة للنقل بين بغداد والموصل، والثانية حديثة الفرات قرب الانبار، والثالثة حديثة وهي قرية في غوطة دمشق^(٢٣)، ومن الأماكن التي ورد ذكرها في النص نجد ذكر تهامي عند ذكر أنواع الورق والنسبة لتهامة وهي تساير بحر القلزم (البحر الأحمر) إلى الغرب من جزيرة العرب ومنها مكة^(٢٤).

رابعاً : التعريف بمصطلحات علم المخطوط العربي مما ورد في النص :

١. **كلاماً** : الكلام لغة جمع كلوم ويقال أصيب بكلم أي بجرح، وكلمه تكليماً وكلاماً والمقصود به الحديث^(٢٥).
٢. **جماعة للكتب** : أي كثير الجمع للكتب^(٢٦).
٣. **كُتِب** : جمع كتاب وهو بدون (أل التعريف) مجموعة من الأوراق مجلدة أو بدون تجليد يمكن أن يكون كتاباً أو رسالة أو أي شيء آخر^(٢٧).
٤. **قطعة** : جزء أو قسم من مخطوط ضاعت أقسامه الأخرى^(٢٨).
٥. **قمتراً كبيراً** : ما تصان فيه الكتب والجمع قماطر ، وفي النص يبدو كبير الحجم^(٢٩).
٦. **رطل** : من وحدات الوزن وهو مقدار يكال به وهو يساوي ١٢ أوقية أي أقل من ٥٠٠ غرام ويختلف حسب البلدان، فالرطل العراقي يعادل ٤٠٦ غرام^(٣٠).
٧. **جلود** : هو بخاصة جلد الماعز، بينما تدل البطانة على جلد الخروف المدبوغ، والجلد في القديم يعني الكراسة فيقال كتب قريباً من ألف جلد أي قريباً من ألف كراسة^(٣١).
٨. **فلجان** : وهي جلود الحمير الوحشية وكانت الروم تكتب عليها^(٣٢).
٩. **صكك** : جمع صك وهو الكتاب، وقيل هو المكتوب الذي يكتب فيه إقرار المقر... فيقولون : أشهدنا فلان^(٣٣).
١٠. **قرطاس مصر** : وهي تعمل من قصب البردي^(٣٤).

خزانة كتب شخصية في حديثة الموصل - تعليق على نص من كتاب الفهرست لابن النديم -

١١. ورق صيني: وكان يصنع من الحشيش في الصين^(٣٥).
١٢. ورق تهامي: نسبة إلى تهامة في جزيرة العرب^(٣٦).
١٣. جلود آدم: وهو الجلد المدبوغ^(٣٧).
١٤. ورق خراساني: ورق يصنع من الكتان ويقال انه أحدث في زمن الأمويين^(٣٨).
١٥. تعليقات: ما يدون على حاشية كتاب من شرح أو إضافة أو استدراك أو فائدة^(٣٩).
١٦. الخطوط: فالخط له دلالات ومعاني منها الكتابة والتوقيع والسطر، والمراد منها في النص الكتابة^(٤٠).
١٧. اخلقها، ادرسها، أحرفها: المراد منها واحد وهو انحاء اثر المخطوط ونحوه^(٤١).
١٨. جزء: جاء هذا المصطلح في القديم مرادفاً لكلمة مخطوط ونسخة ومجلد وكتاب ومنهم من جعله عشرين ورقة^(٤٢).
١٩. ورقة أو ورق: مادة مكونة من ألياف السيليلوز مجمعة وقد صنعت قديماً من ألياف نباتية يتم تحويلها إلى عجين^(٤٣).
٢٠. مدرج: الكتاب الملفوف أو الرقعة الملفوفة^(٤٤).
٢١. توقيع: وهي الكتابة المكتوبة بخط المؤلف سواء كان موقعاً أم لا، وقد تعني الإمضاء أو النسخة بخط المؤلف^(٤٥).
٢٢. شهادات: وهي الخبر القاطع والحنف و المعاينة، ويقال شهد على شهادة غيره والمعنى الأخير هو ما ينطبق على النص^(٤٦).
٢٣. مصحفاً: سمي بذلك لجمعه الصحف بين دفتيه وأطلق اتفاقاً بين الصحابة على القرآن الكريم^(٤٧).
٢٤. أمانات وعهود: الأمانة العهد والوديعة، والعهود من العهدة وهي كتاب الحلف والشراء^(٤٨).
٢٥. ترجمتها: لها عدة معاني فهي سيرة حياة، والتفسير، وترجمة الكتاب فاتحته، وهو

م. د. محمد نزار الدباغ

الأقرب لما ورد في النص^(٤٩).

٢٦. خزانة : هي المكتبة وما تخزن وتصان به الكتب^(٥٠).

المبحث الثاني : التعليق على النص

بعد التعريف بأهم ما ورد في النص من أسماء للعلماء على اختلاف تخصصاتهم وأهم المواقع الجغرافية من أقاليم ومدن مع ما ورد في النص من مصطلحات لها صلة بالكتاب والمخطوط العربي، كان لزاماً على الباحث التعليق على ما ورد في النص وإبداء بعض الآراء والتوضيحات للوصول إلى النتائج المرجوة من البحث ملتزمين في ذلك تسلسل العبارة دون تقديم أو تأخير.

ذكر ابن النديم في بداية النص عبارة ((كان بمدينة الحديثة...))، وقد سبق وبيننا أن هناك ثلاث مواضع تعرف بهذا الاسم فأما الثالثة وهي البلدة الواقعة في غوطة دمشق فنستبعد أن تكون المقصودة في النص لأن ابن النديم لم يغادر العراق قط إلى بلاد الشام، بقي أن نقول إننا لم نجد ما يشير إلى زيارة ابن النديم إلى حديثة الفرات الواقعة قرب الانبار، وإن الحقيقة الأقرب إلى الصواب إن ما قصده ابن النديم بالحديثة هي حديثة الموصل على دجلة ودليلنا على هذا أن ابن النديم كانت له زيارات إلى مدينة الموصل ومن المنطقي أن يكون قد زار حديثة الموصل لقربها من الموصل كونها واقعة على الطريق، ودليلنا الثاني أن أغلب زيارات ابن النديم إلى الموصل كانت من أجل الإطلاع على خزائن الكتب الموجودة فيها وربما أنه خلال إحدى زيارته للموصل مر على حديثة الموصل مما نجده بقوله ((فلقيت هذا الرجل - ابن أبي بكرة - دفعات فأنس بي)) والعبارة الأخيرة تدل على أن ابن النديم قد تردد على ابن أبي بكرة في حديثة الموصل لأكثر من مرة من مغزى قوله - دفعات - ، وعبارة - أنس بي - تدل على معرفة ابن النديم بهذا الرجل خصوصاً أنه كان على توافق معه في المذهب، مع وجود اهتمام مشترك لكليهما وهو جمع الكتب، وقد أكدت بعض آراء المحدثين أن ما قصده ابن النديم بالحديثة هو حديثة الموصل^(٥١).

خزانة كتب شخصية في حديثه الموصل - تعليق على نص من كتاب الفهرست لابن النديم -

وجاء في النص أيضا ((رجل يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن أبي بكرة)) ولم يتحقق لنا شيء حول سيرة هذا الرجل.

ويكمل ابن النديم النص بقوله ((له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة)) ولو لاحظنا النص نجد أن كلمة (العربية) لا يستقيم معها المعنى ولا بد أن تكون (الغريبة)، ذلك أن علم العربية هو علم النحو نفسه، وإن قلنا (تحتوي على قطعة من الكتب الغريبة في النحو ...) فهنا قد استقام المعنى يؤيدنا في ذلك محقق كتاب الفهرست (ايمن فؤاد سيد)، فإبن النديم كان يبحث دوماً عن ما هو غريب ومفقود من الكتب وإلا لما أتى إلى حديثه الموصل ليرى خزانة ابن أبي بكرة^(٥٢).

وإذا أكملنا النص بقول ابن النديم ((وكان نفورا ضنينا بما عنده خائفا من بني حمدان فأخرج لي قمطرا كبيرا فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصر وورق صيني وورق تهامي وجلود آدم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من أشعارهم وشيء من النحو والحكايات والأخبار والأسماء والأنساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم))^(٥٣)، نجد أن ابن أبي بكرة لم يكن خائفاً على نفسه من الحمدانيين بل خائفاً على ما عنده من الكتب خشية أن تقع في يد الحمدانيين رغم كونهم شيعة أيضاً، والدليل على ذلك أن القفطي ينقل نفس النص المتقدم عن ابن النديم بقوله ((وكان نفوراً ضنينا بما عنده، خائفاً عليها من بني حمدان ...))^(٥٤) مما يدفعنا إلى افتراض أن ابن أبي بكرة كان داعية يعمل لحساب القرامطة في أطراف الموصل ومنها مدينة حديثه الموصل عن طريق دعواتهم في بلاد الجزيرة والذين يسميهم ابن النديم ((بنو حماد المواصلة أصحاب الدعوة بالجزيرة وما والاها))^(٥٥) وهذا يدل أيضاً على أن الموصل وأطرافها كانت قاعدة لانتشار الفكر الشيعي الإسماعيلي المعتزلي.

أما حجم القمطر الكبير فنجد أن كبره يتناسب مع حجم محتوياته التي قدر

م. د. محمد نزار الدباغ

ابن النديم وزنها بحدود ٣٠٠ رطل، وإذا ما قمنا بعملية حسابية بسيطة تقوم على ضرب وزنه (٣٠٠) في حجم الرطل العراقي والذي ذكرنا سابقاً إن وزنه يعادل (٤٠٦ غم) فيكون وزن القمطر (٨٠٠, ١٢١ كغم) ولعل هذا الكم الهائل من الرقاع والمخطوطات والأوراق والكتب المحتوية في القمطر على الرغم من عدم التصريح بإسمها إلا أنها تدل على أن هذا القمطر قد شكل بمجموعه مادة ثقافية مهمة تدل على تنوع المكونات الثقافية لذلك العصر الذي عاش فيه ابن النديم رغم أن القمطر كانت محتوياته قديمة تعود إلى ٢٠٠ سنة قبل عصر ابن النديم ونجد ما يدل على رأينا بدلالة قوله ((تحتوي على قطعة من ... الكتب القديمة))^(٥٦).

وإذا أكملنا نص ابن النديم ((... وذكر - أي ابن أبي بكرة لابن النديم - أن رجلاً من أهل الكوفة ذهب عنى اسمه كان مستهترا بجمع الخطوط القديمة وأنه لما حضرته الوفاة خصه بذلك لصداقة كانت بينهما وأفضال من محمد بن الحسين عليه ومجانسة المذهب فإنه كان شيعياً))^(٥٧)، وهنا نجد مسألة مهمة وهي أن ابن أبي بكرة كان يمتلك خزانة كتب شخصية في منزله غير التي في القمطر والذي شكل بمجموعه خزانة كتب أهداها إليه الرجل الكوفي المجهول الاسم قبيل وفاة الأخير لصداقة كانت تربطهما وأفضال من ابن أبي بكرة على الرجل الكوفي فضلاً عن توافقهما في المذهب وهذا ما يؤيد رأينا أن محتويات القمطر الكبير لم تكن تحتوي على كتب ومخطوطات في علوم النحو واللغة والأدب والحديث وغيرها فحسب، بل أنها ربما تحوي على كتب لها علاقة بالاعتزال والإلّم وصل هذا الرجل الكوفي إلى حديثة الموصل ليهدى قمطره إلى ابن أبي بكرة وربما كان المغزى من اللقاء ابعده من ذلك وهو ما يتعلق بالدعوة الإسماعيلية وإن كان هذا افتراضاً قد يقبل الخطأ أو الصواب .

ويلاحظ وجود اهتمام من ابن النديم إلى المصحف الموجود في القمطر بقوله ((ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن أبي الهياج صاحب علي رضي الله

خزانة كتب شخصية في حديثه الموصل - تعليق على نص من كتاب الفهرست لابن النديم -

عنه ثم وصل هذا المصحف إلى أبي عبد الله بن حاتم رحمه الله)) ومما يدل على تقصي ابن النديم على هذا المصحف ومتابعته لأخباره انه يذكر خبره في غير هذا النص في موضع آخر من كتابه عند حديثه عن خطاطي المصاحف بقوله ((أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الخط خالد بن أبي الهياج رأيت مصحفاً بخطه))، ثم نجده يذكر خبر المصحف بعد وفاة ابن أبي بعرة وفقدان القمطر بقوله ((ثم لما مات هذا الرجل - ابن أبي بعرة - فقدنا القمطر وما كان فيه فما سمعنا له خبراً ولا رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنه))^(٥٨).

ونكمل مع النص في آخر التعليقات لنجد عبارة ((ورأيت - ابن النديم - عنده - ابن أبي بعرة - أمانات وعهوداً بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام)) والحقيقة أن مسألة العهود الخاصة بالإمام علي (رضي الله عنه) نعلم منها على وجه اليقين عهده إلى الوالي الاشر بن الحارث النخعي لما ولاه مصر وأعمالها، وهو من أطول العهود التي كتبها الإمام علي (رضي الله عنه)^(٥٩).

الخاتمة :

مثل النص الخاص بالخزانة الشخصية العائدة الى حديثه الموصل والتي هي لابن أبي بعرة مما ذكره ابن النديم في كتابه (الفهرست) قيمة علمية كبيرة لما احتواه من إشارات لمخطوطات وأوراق ورفاق ولفائف وأجزاء من كتب علماء النحو واللغة والأدب والحديث اكتسبت قيمتها من قدم بعضها كالمصحف المكتوب في زمن الإمام علي (رضي الله عنه)، وأعطتنا صورة عن أهمية العناية بالكتب وطرق حفظها مع التركيز على مصطلحات لها علاقة بالمخطوط العربي مما ورد في النص والتي تعطينا نماذج من مصادر التوثيق عند ابن النديم مما شاهده في حديثه الموصل تلك البلدة التي اكتسبت شهرة مهمة في كونها أصبحت من مراكز الاعتزال مما شاع في ذلك العصر بحكم مجاورتها للموصل، وربما كان الهدف من التنقلات المحدودة لابن النديم هو التجول في المناطق الشيعية المعتزلية الخارجية، في

م. د. محمد نزار الدباغ

محاولة للقاء الأشخاص الذين كانوا يمتلكون الممنوع من كتب التشيع والاعتزال والعقل - كابن أبي بعرة - والتي كان مقرها الموصل وما جاورها.

الهوامش:

(١) أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالنديم، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم له : يوسف علي الطويل، وضع فهارسه : احمد شمس الدين، (ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢)، ص ٦٣-٦٥ .

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٣-٦، ٦٣-٦٥؛ محمد نزار الدباغ، رحلة ابن النديم إلى الموصل من خلال كتاب الفهرست - دراسة استقرائية عن العلاقة الثقافية بين ابن النديم وعلماء عصره من أهل الموصل والواردين إليها والمستوطنين فيها، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد الرابع والأربعون / القسم الأول، ٢٠٠٦، ص ٣٧٢-٣٨٤ .

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٣-٦٥ .

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٣-٦٥ .

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ١٤، ٦٤ .

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤ .

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص ٤٤، ٦٤ أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تحقيق : محمد الزيني وآخرون، (ط١، مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٥)، ص ٢٢، محمد بن عبد الواحد أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.م، دار الفكر العربي، ١٩٧٤)، ص ٤٢، ٣٣؛ خديجة الحديثي، المدارس النحوية، (ط٢، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٩٠)، ص ٧٥ .

(٨) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤، ١٠٧-١٠٨، أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص ١٤٥ .

(٩) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤، ٨٦-٨٧؛ السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص ٤٥-٤٦، ٥٢؛ أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص ٨٠-٨١ .

دراسات موصلية، العدد (٤٢)، ذو الحجة ١٤٣٤ هـ / تشرين الاول ٢٠١٣ م

خزانة كتب شخصية في حديثه الموصل - تعليق على نص من كتاب الفهرست لابن النديم -

- (١٠) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤، ١٠٩، أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص ١٤٧؛ محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٣)، ص ١٩٥-١٩٧.
- (١١) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤، ٨١؛ السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص ٣٩؛ أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص ١٠٦؛ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٦٦-٧٢؛ الحديثي، المدارس النحوية، ص ٩٩-١٠٣.
- (١٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤، ١٠٥؛ أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص ١٠٦.
- (١٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤، ١٠٣-١٠٤؛ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٢٧-١٣٠.
- (١٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤، ٣٧٤.
- (١٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤، ٣٧٣.
- (١٦) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤، ٣٧٦.
- (١٧) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٢-٦٥؛ السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص ١٠-١١؛ أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص ٢٤-٢٧؛ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢١-٢٦؛ الحديثي، المدارس النحوية، ص ٦٢-٦٣.
- (١٨) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤-٦٥؛ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٧-٢٨؛ الحديثي، المدارس النحوية، ص ٦٦.
- (١٩) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٥؛ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٢٢.
- (٢٠) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٥، ٨١-٨٢؛ السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص ٣٨؛ أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص ١٠٨.
- (٢١) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ فيصل السامر، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، (ط١، بغداد، مطبعة الإيمان، ١٩٧٠)، ج ١، ص ٣١٣.
- (٢٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤.

م. د. محمد نزار الدباغ

- (٢٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٣ ؛ شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، د.ت)، ج ٢، ص ٢٣٠-٢٣٢، ج ٣، ١٢٣-١٢٤ ؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : إحسان عباس، (ط٢، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠)، ص ١٩٠؛ يوسف جرجيس الطوني، حديثه الموصل في العصور الوسيطة، بحث محفوظ في أرشيف مركز دراسات الموصل / جامعة الموصل، د.ت، ص ٣-٤، ١٢-١٣ .
- (٢٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٣ .
- (٢٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٣ ؛ ينظر : مادة (كلام) في معجم المعاني (رقمي) .
- (٢٦) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٣ ؛ ينظر : مادة (جمع) في معجم المعاني (رقمي) .
- (٢٧) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٣-٦٤ ؛ احمد شوقي بنين ومصطفى طوخي، معجم مصطلحات المخطوط العربي - معجم كوديوكولوجي، (ط ٣، الرباط، المطبعة والوراقة الوطنية، ٢٠٠٥)، ص ٢٩٠ .
- (٢٨) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤ ؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٢٧٨ .
- (٢٩) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤ - ٦٥ ؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٢٨٣ .
- (٣٠) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤ ؛ فالتر هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى، ترجمة عن الألمانية : كامل العسلي، (عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٧٠)، ص ٣٠-٣١ .
- (٣١) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤ ؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ١١٤ .
- (٣٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤ ؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٢٦٥ .
- (٣٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤ ؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٢٢١ .

خزانة كتب شخصية في حديثه الموصل - تعليق على نص من كتاب الفهرست لابن النديم -

- (٣٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٢٧٢.
- (٣٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٣٨١.
- (٣٦) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٣٧٩.
- (٣٧) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٣٣.
- (٣٨) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٣٨٠.
- (٣٩) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٩٤.
- (٤٠) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤-٦٥؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ١٤٦.
- (٤١) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ١٦٠؛ مادة (خلق) ومادة (حرف) في معجم المعاني (رقمي) .
- (٤٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ١١٣؛ وحول درس الكتب والمخطوطات وعنفها وتلفها وينظر :
- Lindley J. Stiles , A Bookcase and Some Old Musty Books , Theory into Practice, Vol. 8, No. 5, (Dec., 1969), 322 .
- والبحث في المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الالكتروني: www.ivsl.org
- (٤٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٣٧٨.
- (٤٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٣٢٥.
- (٤٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ١٠٦.
- (٤٦) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ مادة (شهد) من معجم المعاني (رقمي) .
- (٤٧) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤ - ٦٥ ، ١٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٣٣٧ .

م. د. محمد نزار الدباغ

- (٤٨) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٢٥٢
؛ مادة (أمانة) من معجم المعاني (رقمي).
- (٤٩) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ٨٠.
- (٥٠) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٣؛ بنين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص ١٤٤.
- (٥١) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٣، وحول وجود ابن النديم في الموصل وإطلاقه على خزائن الكتب انظر مثلاً ص ٤٢٧ من كتاب الفهرست لابن النديم ؛ وفيما يتعلق برحلته إلى الموصل راجع : الدباغ، رحلة ابن النديم إلى الموصل من خلال كتاب الفهرست، ص ٣٧٢-٣٨٤، وحول آراء المُحدثين بشأن رأيهم في أنها حديثة الموصل ينظر : أبي الفرج محمد بن إسحاق النديم، الفهرست للنديم، تحقيق : ايمن فؤاد سيد، (لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٩)، مج ١، ق ١، ص ١٠٦ هامش (٢)؛ كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة، (ط ٢، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٦)، ص ٢١٢ .
- (٥٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٣ ؛ ابن النديم، الفهرست، (نشرة ايمن فؤاد سيد)، مج ١، ق ١، ص ١٠٦ ؛ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، (ط ٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣)، ج ٢، ص ١٢٣-١٢٤ .
- (٥٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٣ - ٦٤ .
- (٥٤) جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٠)، ج ١، ص ٧ .
- (٥٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٢٧ .
- (٥٦) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٣ - ٦٤ ؛ هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٣٠ - ٣١ .
- (٥٧) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٣ - ٦٤ .
- (٥٨) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤-٦٥، ١٤ .

خزانة كتب شخصية في حديثه الموصل - تعليق على نص من كتاب الفهرست لابن النديم -

(٥٩) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٤ ؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة وهو مجموع اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح محمد عبده، (بيروت، دار المعرفة، د.ت) ص ٨٢-١١٢ .